

صور من تاريخ المسلمين في الهند



أدق مرحلة في تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند

يقلم الأستاذ السيد أبي الحسن علي الحسن الندوي

أشدّ عناداً للإسلام من الهندوس والمجوس
والمسيحيين .

ونعود إلى القصة فنقول إن أكبر
عادي الإسلام عنده شديداً ، حتى يروى
عنه أنه كان لا يستطيع أن يسمع اسم محمد ،
كانت ثور ثأرتة إذا سمع هذا الاسم
الكريم ، فكان لا يملك نفسه ، وقد أصدر
الأوامر الشديدة بأن كل من يحل عليه أنه
ذبح بقرة فانه يقتل ، إنه أحل الخنزير وأحل
الخمر ، ولكنه حرم ذبح البقر وحرم على
رجال بلاطه أن يسموا أولادهم محمداً
أو أحمد .

هذه فترة دقيقة جداً ، تقرر مصير
الهند وتقرر مصير المسلمين في هذه البلاد
التي هجروا فيها وفي سبيلها أوطانهم ، هذه
البلاد التي عاشت فيها أجيال ، هل تنجرح
المسلمون فيها عن دينهم ؟ هل يلفظ الإسلام
نفسه الأخير ؟ هل يكتب عليه القضاء ؟

هالك قام رجل له فضل على كل مسلم
في الهند ، هو الشيخ أحمد بن عبد الواحد
العمري اليرفندي - رحمه الله تعالى -
وكان عالماً كبيراً مشاركاً في علوم كثيرة ،
وكان إذا أراد أن يكون له مركز كبير
على كان يمكن أن يتصدر مجلس السلطان
أكبر ، وكان هناك من دونه في العلم ومن
دونه في الذكاء ، ولكنه ملكته فكرة
واحدة : حرام على هذه البلاد أن ترد عن
الإسلام وأن يحرم المسلمون فيها حقهم ، أن
يمشوا كراماً أحراراً شرقاً ، يزاوون
شعائرهم الدينية ، ويحافظون على خصائصهم
وخصائصهم الإسلامية ، ملكته هذه الفكرة
حتى حالت بينه وبين كل لغة ، فوهب نفسه
وحياة لها ، رونه في رسائله وأصلها
بالفارسية ، وقد نقلت إلى العربية ، كيف
يكي دماً ، وكيف يكي على الإسلام - إن
رسائله دافقة بالحياة ، الإنسان إذا قسراً
هذه الرسائل يشعر بأن فيها شملة إيمانية ،
وغبية من إيمان وصرامة وحرارة ، فيقول
في إحدى رسائله ، كتبها إلى أحد كبار
الدولة « ولويله ، وإحزانه ، وأمصيناه ،
إن أنباغ محمد ﷺ ، الذي هو حبيب رب
العالمين بهذا المكان مرت الذل والموان ،
والكفار والمشركون والوثنيون يمتعون بالطرية
وهذا في عهد رجل يسمى بالإسلام » .

ومعزماً بالمقارنة بين الديانات لجمع علماء
أهل السنة وعلماء الشيعة وعلماء الطوائف
الإسلامية التي اعترفت عن الإسلام وعلماء
البراهمة والبوذيين والمجوس والمسيحيين ،
وكان يشير موضوعاً خلافاً لماظر فيه هؤلاء
العلماء فكانوا يتفقون كالديك ويتشابهون
كالتيوس ، وكان يتفجع على ذلك ويتلى
به ، كما كانت الملوك في العصر القديم
يتفجعون على قتال التيوس وبعض الطيور ،
هذه المناظرات قد غرست في قلة الشوك ؛
و صار ينسلخ عن الإسلام ويبدأ رويداً
حتى انسلخ تماماً .

ثم العامل الثاني الذي أثر فيه وعدل
به عن الإسلام - هو حب العلماء الزائد
للدنيا وتنافسهم في الجاه والمال ، كان في
بلاطه علماء يعتبرون من كبار العلماء في
عصره ، ولكنهم مع الأسف الشديد ،
كانوا متنافسين تنافساً شديداً في الجاه ، وكان
كل واحد يريد أن ينأثر بالملك وكان
بعضهم ادخس مالا عظيماً وكان بعضهم
استخرجت من مقبرة أسلافه ليشات من
ذهب كان قد خيأها ، فلما اطلع هذا الرجل
على هذه المناظرات واطلع على مواضع
الضعف في هؤلاء العلماء الكبار ، الذين كان
أحدهم المحدث الأكبر والأخضر قاضي القضاة ،
والفتي الأكبر - رأى أنهم لصوص الدنيا ،
وأنهم لا يفلون عن عباد الدنيا ، في حب
المال فانسلخ عن الإسلام .

وأقول لكم - أيها الاخوان - عن
تجربة واختار ، إن الذي يريد عن الإسلام
يكون أكثر عناداً للإسلام ، وأكثر
معارضة للإسلام والمسلمين من الذين ليس
لهم عهد بالإسلام ، ومن أنواع كل ديانة ،
مسيحيين كانوا أو يهوداً ، وهذا الذي
تشهدونه اليوم في بعض البلاد العربية
والإسلامية ، التي يحكمها الذين ولدوا في
الإسلام ونشأوا في بيت مسلم ، وفي بيئة
مسلمة ثم كرهوا الإسلام وأبغضوه لتأثير
أجنبي أو بفعل ثقافة أجنبية ، فهم دائماً

لما رحمت الحكومة الإسلامية في الهند
و انتشر الإسلام انتشاراً واسعاً في جميع
أرجائها ، تأثر المسلمون بمواطنيهم الهندوس ،
فانتقلت إليهم عادات الجاهلية ، وانتقلت
إليهم بعض العقائد الخرافية ، وتسرب إليهم
الشرك والدع وتغلقت فيهم الفلسفة
اليونانية والفلسفة الهندية القديمة ، وعن
طريق هاتين الفلسفتين انتقلت إليهم اتجاهات
و نزعات لا يقبلها الإسلام ، فهاك جاءت
مرحلة الإصلاح والتنظيم ، ولما جاءت
هذه المرحلة ، قضى الله في هذه المرحلة
الدينية رجالاً عظاماً متأثرين للإسلام ،
وهو نفوسهم وأرواحهم ومواعيلهم و
ذكاهم لقيادة المسلمين في هذه البلاد .

و اتفق أن أكبر ملك عرفه تاريخ
الهند ، هو الملك المغولي السلطان جلال الدين
أكبر بن هابون بن بابر مؤسس الحكومة
في الهند ، اتجه اتجاهاً معارضاً للإسلام ، و
نفا فيه عناد للإسلام وعناد شديد للدين
الإسلامي وصاحب الرسالة عليه الصلاة و
السلام ، وعطف شديد على البراهمة و
عقائدهم وعاداتهم .

هذه مرحلة أدق من مرحلة الجاهلية
المحصنة ، إذا كانت بلاد لا تعرف الإسلام ،
فقضيتها قضية سهلة ، إذا تعرفت بالإسلام
قد تعرفت بالإسلام الحق والدين الخالص ،
و لكن نار الملوك والحكام على الإسلام ،
و انصرفوا عن الجادة وارتدوا عن الإسلام
أو عارضوه ، وهنا العقدة الكبرى .

إن أكبر ، كان أولاً مغزماً بدراسة
الديانات ، كان من سوء حظ أنه كان
أبياً أو شبه أياً ، لم تسمح حياته الخاصة
بدراسة وثيقة - ولكن مع ذلك عنده
غرام بالمقارنة بين الديانات - والانسانيات
إذا كان جاهلاً وليست عنده الوسائل الكافية
لمقارنة الآمنة ، والوصول إلى النتائج الصحيحة
فهذه محنة عظيمة ، وهذا الرجل كان
يجمع بين طبيعتين متناقضتين ، جاهل ولكنه
كان مفرط الذكاء ، سريع الانفعال عصبياً ،